الجماعات الأصولية المسيحية في إفريقيا:
الخصائص - النماذج - التأثير

أ. أحمد محمد أحمد إسماعيل
صحفي وباحث سوداني متخصص في الشئون الإفريقية

تشهد القارة الإفريقية تنوعاً دينياً وسياسياً واسعاً يجعل من الصعب التعامل مع الظواهر الدينية بوصفها أنماطاً متجانسة على المستوى القاري. ولذلك؛ لا تسعى هذه الدراسة إلى تقديم تعميم شامل حول الجماعات الأصولية المسيحية في إفريقيا بأكملها، بل تركز على عدد من الحالات التي شهدت بروزاً واضحاً لهذه الظاهرة. وعلى وجه التحديد، تركز الدراسة على بعض دول إفريقيا جنوب الصحراء التي شهدت تحولات دينية وسياسية ملحوظة خلال العقود الأخيرة، مثل أوغندا ونيجيريا.

ويأتي اختيار هـذه الحالات بوصفها دراسـات حالة تحليليـة تعكـس أنماطاً مختلفـة من حضـور الأصولية المسيحية، سواءٌ في صورتها العنيفة كما في بعض الحركات المسـلحة، أو في صورتها المؤسسـية المرتبطة بالكنائس الإنجيلية والخمسينية الكبرى.

ركزت هذه الدراسـة على الفتـرة الممتدة من أواخر ثمانينيات القرن العشـرين وحتى العقـد الثالث من القرن الحادي والعشـرين. وقد شـهدت هـذه المرحلة تحولات مهمة فـي المجال الدينـي الإفريقي، تمثلت في التوسـع السـريع للحركات الخمسـينية والإنجيلية، إلى جانب بروز بعض الحركات الدينية ذات الطابع الراديكالي في سياقات الصراع المسـلح. كما تزامنت هذه التحـولات مع تغيرات سياسـية واقتصادية مرتبطة بمرحلة ما بعد الحرب الباردة وبرامج الإصلاح الاقتصادي والتحـولات الديمقراطية في عـدد من الدول الإفريقية. وبالتالي فإن هذا الإطار الزمني يتيح فهـم العلاقة بين صعود هذه الحركات وبين التحولات البنيوية التي شـهدتها الدولة والمجتمع في إفريقيا جنوب الصحراء.

موضوع الدراسـات المتعلقة بالأصولية المسيحية في إفريقيـا قليل التنـاول في الأدبيات العربيـة رغم أهميته، خصوصاً مـع صعود: الكنائـس الخمسـينية، والحركات المسلحة ذات الخلفية المسيحية. ومن هنا تبرز أهمية هذه الدراسة التي تتناول ظاهرة الجماعات الأصولية المسيحية في إفريقيـا من زاويـة تحليلية تجمع بيـن البعد الديني والاجتماعي والسياسي.

تعتمد الدراسـة منهجـاً وصفياً تحليليـاً في عرض نماذج من تلك الحركات الأكثر شـهرةً، والتي برزت بشـكلٍ كبير مؤخراً فـي عدد من الدول الإفريقيـة، وتخلص إلى أن هـذه الجماعات تُمثـل تعبيراً عن التفاعـل بين الإرث الديني المسيحي في نسخته الوافدة مع الاستعمار الغربي، والتطلعـات الإفريقية نحـو هوية روحية مسـتقلة، وأنها سـاهمت بدرجات متفاوتة في إعادة تشـكيل العلاقة بين الدين والدولة والمجتمع في إفريقيا المعاصرة.

وستحاول الدراسـة الإجابة عن سؤال رئيس: ما تأثير

تكشف الظاهرة الأصولية المسيحية في إفريقيا عن تحوّل ديني عميق يتجاوز الطقوس إلى إعادة تشكيل للهوية الاجتماعية والسياسية

الجماعـات الأصولية المسـيحية في المجال السياسـي والاجتماعي في البلدان الإفريقية التي تنشط فيها؟

وسيتم تناول هذه الظاهرة من خلال المدخل والمحاور الآتية:

مدخل مفاهيمي: دلالة المصطلح والملابسات التاريخية لظهور الأصولية المسيحية في الغرب.

المحور الأول: خصائص الجماعات الأصولية المسيحية في إفريقيا.

المحور الثاني: النماذج البارزة للأصولية المسيحية في إفريقيا.

المحور الثالث: التأثير الاجتماعي والسياسي والثقافي للجماعات الأصولية المسيحية.

المحور الرابع: التحديـات والتحـولات المعاصـرة للجماعات الأصولية المسيحية.

مدخل مفاهيمي: دلالة المصطلح والملابسات التاريخية لظهور الأصولية المسيحية في الغرب:

أولاً: دلالة مصطلح الأصولية ومفهوم الأصولية المسيحية:

مصطلح أصوليـة fundamentalism هو مفهوم وليد إطار ثقافي غربي، ونشأ في ظل صراع وجودي بين الفكر المسـيحي وفكر الحداثة، التي برزت كحركـة مضادة لهيمنة الكنسـية، فعمدت إلى تجاهل الثوابت الدينيـة في مقابل النظريات العلمية الحديثة في تفسـير نشأة الكون والوجود،

مثل نظرية دارون، أو تأويلها بتأويلات تتماشى مع تلك النظريات، ورفض ما لا يقبل التأويل منها. وفي خضم هذا الصراع بين المتدينين والحداثيين وُلد المصطلح. فالأصوليون هم الذين واجهوا تيار الحداثة بالتمسك بحرفية نصوصهم المقدسة ويقينيتها، ورفضوا أيَّة محاولة لمعارضتها وممارسة النقد المنهجي عليها، واعتبروا ذلك ضرباً من ضروب الخروج عن الدين.

ويُعرّف مفهوم الأصولية المسيحية إجرائياً في هذه الدراسة على أنه: «نمط من التفكير والممارسة الدينية يقوم على التمسك الحرفي بالنصوص الإنجيلية، ورفض التأويلات الليبرالية، مع تبنّي رؤية خلاصية ونزعة تبشيرية تهدف إلى إعادة المجتمع إلى الإيمان الأصلي وتطهيره من الانحرافات العقدية والأخلاقية»[١].

ومن أشهر التعريفات الأكاديمية الغربية للأصولية تعريف «ألتيماير» و«هانسبيرجر» Altemeyer & Hunsberger الذي يحدد الأصولية بأنها: «الاعتقاد بأن هناك مجموعة من التعاليم الدينية التي تتضمن بوضوح الأصول والقواعد والأشياء الجوهرية والأسس، والحقيقة المعصومة حول الإنسانية والمعبود، تلك الحقيقة الأساسية التي تمت معارضتها في الواقع من قبل قِوى الشر، التي يجب مقاومتها بجدية، وأن الذين يؤمنون بتلك التعاليم الأصولية ويتبعونها لديهم علاقة خاصة مع المعبود»[٢]. ويرى ألتيماير وهانسبيرجر أن الأصوليين يؤمنون بتفوق تعاليم دينهم، وبالحدود الفاصلة الصارمة بين الأشخاص الصالحين والأشخاص السيئين[٣].

وفي هذا المنحى نجد، أيضاً، تعريف «إدوين إف كاجين» في كتابه (نُذُر العاصفة)، حيث يقول: «مبدئياً يمكن وصف الأصولية المسيحية بأنها رؤية مطلقة وغير مرنة للعالم»[٤].

بينما يرى «ريجك أ. فان ديجك» Rijk A. Van Dijk، أن الأصولية الدينية هي: «مجموعات تتبنّى تفسيراً حرفياً للكتاب المقدس، تؤيد المواقف المتزمتة والتطهرية، والتوجهات الأخلاقية، وتسعى لعزل أعضائها عن الإغواء الدنيوي (العلماني)، بإنشاء مجتمعات حيث يمكن للتوجهات العالمية الأخرى العيش بالخارج وتجريب إمكانيتها الكاملة»[٥].

بينما يضع «ريك بيلز» Rik peels، أستاذ الفلسفة والأديان واللاهوت بجامعة فريجي بأمستردام، وهو واحد من الباحثين الذين عُنوا بالتفكيك البنيوي للظاهرة، محددات للتعريف، **فيقول: تكون الحركة أصوليةً إذا تمثل فيها عدد كبير من الخصائص الآتية:**

١- **هي رجعية:** في رفضها للأخلاق الليبرالية، والنظريات العلمية، أو الاستغلال التكنولوجي، وما ينجم عنه من آثار سالبة، مثل الاستغلال اللامحدود للتكنولوجيا غير المقيّد بالقيم، وما

(١) Gifford, P. (2015). Christianity, Development and Modernity in Africa. Hurst Publishers

(٢) Altemeyer B, Hunsberger B. Authoritarianism, religious fundamentalism, quest, and prejudice. .Int J Psychol Relig 1992; 2(2): 113-33

(٣) Altemeyer and Hunsberger, A Revised Religiouse Fundamentalism Scale: The Short and Sweet of It, The International Journal for the Psychology of Religion, January 2004

(٤) كيمبرلي بلاكر، أصول التطرف- اليمين المسيحي في أمريكا، ترجمة: هبة رؤوف وتامر عبد الوهاب، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة ومكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص٥٦.

(٥) Rijk A. van Dijk, Christian Fundamentalism in Sub-Saharan Africa: The case of Pentecostalism, OCCASIONAL PAPER Centre of African Studies University of Copenhagen, February 2000

نجم عنه من آثـــار مثل هضم العمالة البشـــرية، والتلوث البيئي، وإزالة الغطاء الشـــجري للأرض، وإنقاص التنوع الحيوي.. إلى آخر تلك الإشكالات.

٢- **وهي حداثية:** في بحثها للوصول إلى اليقينية والســـيطرة[١]، ولديها عقيدة راســـخة في حرفية النصوص المقدسة وعصمتها، وهي مع ذلك نشطة جداً في اســـتخدام الميديا والتكنولوجيا، وتتميز دعاويها ومطالبها بالعالمية.

٣- **تقدم سردية تاريخية كبرى:** بخصوص الجنة (الفردوس المفقود)، أو السقوط، والفداء، والثنائية الكونية؛ مثل ثنائية (الصراع بين الخير والشر)[٢].

بعض التعريفات ركزت على السمات الاجتماعية والآثار السياسية وردود الفعل للحركات الأصولية في تعاطيها مع الصراعات في العالم، مثل تعريف «ســـاثياناثان كلارك» Sathianathan Clarke: «الأصوليـــة الدينية هي عقـــل جمعي منغمس في استرجاع رؤية حرفية مؤيدة بنظام أخلاقي خاتم، يمضي عليه العالم من أجل حياة الإنسان، محددة بحركة مكافحة تسعى نحو هدف هو نظام عالمي يحكم الاجتماع، والسياســـة، والاقتصاد، والثقافة، والحياة الدينية لكل البشر»[٣].

ثانياً: الملابسات التاريخية لظهور الأصولية المسيحية في الغرب:

أول اســـتخدام لمصطلح (الأصولية) كان في بدايات القرن العشـــرين، وكان يُشار به، في ذلك الوقت، إلى حركة داخل الكنيســـة البروتســـتانتية الأمريكية، نشأت كردَّة فعل على أفكار «الحداثة»، والافتتان بها وسط رجال الدين المسيحي.

وفـــي تلك الفتـــرة المبكـــرة انتشـــرت على نطاق واســـع، في جميع أنحاء الولايات المتحدة، كتيبـــات مطبوعـــة[٤] مـــن تأليـــف مجموعة من الوعاظ والأســـاقفة، حملت اســـم الأصول The Fundamentals، كانـــت هـــذه الكتيبـــات مصـــدر الإلهام للحركة الأصولية داخل الكنيســـة الإيفانجيليكية الأمريكيـــة[٥]، لأنها حوت الأصول والمبـــادئ الجوهرية، في نظامهـــم الديني، التي يجب الإيمان بهـــا والدفاع عنها والمحافظة عليها بكل الوسائل، وهي خمس عقائد لاهوتية، تتضمن: «اعتقاد عصمة كل كلمة من كلمات الكتاب المقدس ومصدره الإلهي؛ والإيمان بألوهية المسيح والحمل

---

(١) لا يوجد تعارض بين وصفها بأنها رجعية، وكونها حداثية، فالرجعية بالمعنى الأول هو رفض الاستغلال التكنولوجي الـذي أوجدتـه الحـداثـة، مـن حيث طغيان المـادة وعـدم الاكتراث إلى القيم، والسعي للإنتاج والإنجاز العلمي حتى لو كان على حساب حياة البشر على الكوكب أو سحق الضعفاء. أما الحداثة فيفسرها ريك بيلز بقوله: «فالحداثة عندهم هي (المدنية) المنبثقة من ثقافة واضحة المعالم، واستخدام الحداثة في البحث عن (اليقينية) و(السيطرة)»، فهي تستفيد من منتجات الحداثة في دعم مشروعها الفكري، وتُدخل التطور التكنولوجي في أساليبها ووسائلها التبشيرية وغير ذلك، حيث لاحظ أن تلك الحركات نشطة في هذا الجانب إلى أبعد مدى، لذلك يرى بيلز «أن الأصوليين في الواقع مفعمون بالحداثة في دواخلهم، ولكن القضية في أسلوب التعاطي مع الحداثة».

(٢) Rik Peels, on defining 'fundamentalism', Cambridge University Press, November 2022, an Open Access article, distributed under the terms of the Creative Commons Attribution licence. (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

(٣) Clarke (2017), Competing Fundamentalisms: Violent Extremism in Christianity, Islam, and Hinduism. Louisville: Westminster John Knox.,154.

(٤) في عام ١٩٠٩م، قام الأخوان ليمان وميلتون ستيوارت Stewart Milton and Lyman، وكلاهما من رجال النفط الأثرياء، بالإنفاق على إنتاج وتوزيع مجموعة مكونة من ١٢ مجلداً تتضمن المقالات المسيحية المحافظة بعنوان الأساسيات The Fundamental شهادة الحقيقة Testimony Of Truth، وقد تم إرسال أكثر من ٣ ملايين مجلد بالبريد مجاناً إلى الوزراء في جميع أنحاء العالم الناطق باللغة الإنجليزية. راجع: باهر عبد العظيم حماد، الأصولية: النشأة والمحددات والسمات، أطروحة ماجستير في الفلسفة بكلية الآداب جامعة حلوان، مجلة الآداب- بحوث كلية الآداب.

(٥) المصدر السابق.

الطاهر به وميلاده المعجز من غير أب، وبأن موته كان تكفيراً للخطيئة الأولى، وبقيامته الجسدية وعودته الثانية، وبالحقيقة التاريخية للمعجزات التي جاء بها». وأصبح أولئك الذين يشتركون في الإيمان بهذه الأصول الخمسة كان يطلق عليهم «أصوليين»[١].

ويُعتبر القس المعمداني، الصحفي، «كيرتس لي لوز» (١٨٦٨-١٩٤٦م) Curtis. Lee Laws، محرر مجلة (الحارس) المعمدانية، هو أول من قام بصياغة المصطلح بصورة واضحة تدل على مضمون محدد، ودعا لاستخدامه كـ(عَلَم) على جماعة من المؤمنين بالمسيحية، حيث كتب في عام ١٩٢٠م: «إن المسيحيين الحقيقيين الذين ما زالوا يقبلون بأصول الإيمان عليهم أن ينعتوا أنفسهم بـ(الأصوليين)»[٢].

وبدأت الأصولية في الانتشار على نطاق واسع، خاصة وسط أتباع الكنائس المشيخية Presbyterians والإيفانجليكانية Evangelicals، خلال عقدي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين. وخلال تطورها، ضمت الحركة الأصولية طوائف وحركات شتى تنوعت معتقداتهم وأساليبهم، من بينهم المعمدانيون Baptists، والخمسينيون Pentecostals والبروتستانت، والكاثوليك الإيفانجليكانيون، والكنائس الأصولية المستقلة، والمشيخية[٣].

المحور الأول: خصائص الجماعات الأصولية المسيحية في إفريقيا:

١) دخول الأصولية المسيحية إفريقيا:

بدأ دخول المسيحية للقارة الإفريقية على يد المنصرين الأوروبيين، في وقت مبكر، منذ القرن الخامس عشر الميلادي، فوصل البرتغاليون إلى الرأس الأخضر (كيب فيرد) في عام ١٤٤٤م، ثم إلى غينيا ١٤٧١م، ليفتحوا القارة أمام الإرساليات الكاثوليكية، ووصل الرحالة (ديجو كام) إلى ساحل الكونغو في ١٤٨٤م، لتلي الإرساليات الكاثوليكية إرساليات أخرى؛ (الفرنسيسكانية، والكرملية، والدومينكانية، والأوغسطينية)، أما تأسيس الأسقفيات فبدأ في جزر الكناري ١٤٠٩م، وسان توماس ولواندا ١٤٩٨م، وجزر ماديرا ١٥١٤م، ومدغشقر ١٥٤٠م، والرأس الأخضر ١٥٥٣م، وموزمبيق ١٦١٢م[٤]. واستمر تدفق المبشرين المسيحيين حتى وقتنا الحاضر، وضمن هذا التدفق وفدت الجماعات الأصولية المسيحية إلى إفريقيا.

ورغم أن دخول المسيحية لإفريقيا كان سابقاً لظهور الأصولية المسيحية، باعتبارها مصطلحاً حديثاً وُلد في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، لكن المبادئ التي التزمها المنصرون الأوائل الذين وطئت أقدامهم القارة، رسخت للأصولية المسيحية في إفريقيا، وهذا ما يؤكده البروفيسور «ريجك أ. فان ديجك» Rijk A. Van Dijk، الأستاذ بمركز الدراسات الإفريقية بجامعة ليدن بهولندا، الذي يرى أن

(١) Fundamentalism/Religious Fundamentalism, Paper without author, Government Girls General Degree College.

(٢) Torkel Brekke & Uzair Ahmed, What is fundamentalism?, Research paper, C-REX - Center for Research on Extremism, Norway ,2020.

(٣) كيمبرلي بلاكر ٢٠٠٥، مصدر سابق، ص (٧٠-٧٢).

(٤) حامد المسلمي، الإرهاب المسيحي في إفريقيا: جيش الرب نموذجاً، مجلة قراءات إفريقية، العدد ٣٨، أكتوبر ٢٠١٨م، ناقلاً عن محمد عبد الكريم أحمد، الكنائس الأوروبية في إفريقيا: بين التبشير بالاستعمار ولاهوت التحرير، مجلة دراسات إفريقية، النجف: مركز الدراسات الإفريقية، العدد الرابع، مارس ٢٠١٨م، ص (٦٤-٦٥).

الأصولية المسيحية والمجموعات المتزمتة وُجِدت في إفريقيا جنوب الصحراء بالتحديد منذ بدء النشاط التبشيري بواسطة البيض. ويشير إلى أن الانقسام الذي وقع في الكنائس المسيحية في إفريقيا في بدايات القرن العشرين وشطَرَها إلى قسمين، كنائس الخط الرئيسي Mainline Christian Churches والكنائس الإفريقية المستقلة Established Churches، كان انقساماً (أصولياً) بالأساس. فكنائس الخط الرئيس؛ كانت تضم كنائس مثل (المشيخية، والميثودية، والإنجيلية) ذات توجهات أصولية، متطرفة أو أقل تطرفاً.

وبحسب ديجك؛ فإن توافد الكنائس الأصولية إلى إفريقيا استمر حتى نهاية القرن الماضي، ويشير إلى بعض هذه الكنائس مثل كنائس اليوم السابع الأدفنتستية Seventh Day Adventist churches، وكنائس معمدانية معيّنة، قديسو اليوم الآخر Latter Day Saints، وأخيراً وليس آخراً مجتمعات برج المراقبة Watchtower، ومجموعات شهود يهوه Jehovah's Witness[1].

ويعالج البروفيسور فان ديجك في ورقته الموسومة بـ(الأصولية المسيحية في إفريقيا جنوب الصحراء: حالة الخمسينية) موضوع النمو المذهل لما يُسمّيه هو بـ(الخمسينية الكاريزمية) في إفريقيا جنوب الصحراء، ويشير هنا، بشكلٍ خاص، إلى ما يُسمّيه (سحر الخمسينية مع الحداثة)؛ مع أنماطها العصرية وشهوة الاستهلاك، مع التقنيات الجديدة، وبتحقيق الوصول إلى موقع الهيمنة على القطاعات الحديثة، في كل الحياة اليومية.

٢) الخلفية الفكرية والدينية والخصائص:

نشأت الأصولية المسيحية في إفريقيا في كنف البروتستانتية، مستندةً إلى التراث الإنجيلي المحافظ، الذي يشدد على العصمة المطلقة للكتاب المقدس، وعلى «الولادة الجديدة» كمصدر للتحول الروحي، وعلى العلاقة الشخصية المباشرة مع الله دون وساطة كهنوتية والالتزام الشخصي بالتوبة والقداسة[2].

٣) الأسس اللاهوتية والعقائدية:

تتميز الأصولية المسيحية الإفريقية المسيحية بخصائص وسمات، تفترق في بعضها عن بقية الأصوليات في العالم، وتلتقي معها في البعض الآخر:

- التمسك الحرفي بالنصوص الإنجيلية، ورفض النقد التاريخي أو التأويلي للنصوص المقدسة، والتأكيد على أن الخلاص لا يتحقق إلا بالإيمان الشخصي بيسوع المسيح. كما ترى في «الشيطان والعالم المادي» مصدراً لكل فساد اجتماعي، الأمر الذي يمنح خطابها طابعاً صدامياً مع الحداثة والعلمانية وقيمها.
- إدماج الأسس العقائدية الأصولية مع عناصر الثقافة الإفريقية المحلية، فظهر ما يُعرف بـ«المسيحية الإفريقية الجديدة» التي تمزج بين النصوص المقدسة والرؤى الروحية الشعبية، كما هو الحال في حركة «سيمون كيمبانغو»[3] في الكونغو، وفي حركة «جيش الرب» في أوغندا.
- الطابع المهدوي أو الخلاصي، لنزعة الانعزالية أو الثورية، والتوظيف الاجتماعي

(١) See again (Rijk A. van Dijk. 2000

(٢) Ojo, M. A. (2010). The Contextualization of Christianity in Africa. International Bulletin of Missionary Research, 34(4), 188–194.

(٣) سيمون كيمبانغو ١٨٨٧-١٩٥١م Simon Kimbangu: هو زعيم ديني كونغولي ومؤسس الحركة الكيمبانغوية Kim-banguist Church، وهي حركة مسيحية أصولية نشأت في الكونغو البلجيكية، ركّزت على التبشير بالإنجيل وتحرير المجتمع من الاستعمار، وتميّزت بخطابها الروحي القوي والمقاوم للسلطات الاستعمارية.

والسياسي للدين.

• الكاريزما القيادية، حيث تقوم البنية التنظيمية لهذه الجماعات على الزعامة الكاريزمية، التي تجعل القادة يتمتعون بسلطة روحية مطلقة، باعتبارهم «وسطاء للوحي والإرشاد الإلهي». وغالباً ما يُنظر إليهم بوصفهم أنبياء معاصرين أو ممثلين للروح القدس، كما في حالة القس ويليام كوموبي (كنيسة الحياة العميقة) أو القس إنوك أدييوي (كنيسة الله المفدّاة) أو شعب الرب.

٤) السمات الاجتماعية والتنظيمية:

تتميز الجماعات الأصولية المسيحية في إفريقيا بما يأتي:

• هياكل تنظيمية لامركزية تسمح بالانتشار الأفقي السريع عبر شبكات تبشيرية محلية.

• استقلالية مالية وتنظيمية تجعلها أقل اعتماداً على الكنائس الغربية.

• تكيّف ثقافي عميق مع البيئات المحلية، إذ تُدرج الموسيقى والرقص واللغات الإفريقية في شعائرها.

• نشاط تبشيري مكثف يتجاوز الكنائس ليشمل الجامعات والإعلام والمجتمعات الريفية.

٥) العلاقة مع الطوائف الأخرى:

وتتخذ هذه الجماعات مواقف متشددة تجاه الكاثوليكية والأنجليكانية، وترى أنهما تخليتا عن نقاء الإيمان، بينما تتعامل مع الإسلام بمزيج من التنافس والصراع الدعوي في بعض المناطق متعددة الأديان مثل نيجيريا والسودان وتنزانيا[١].

المحور الثاني: النماذج البارزة للأصولية المسيحية في إفريقيا:

على الرغم من أن الحركات الأصولية المسيحية في إفريقيا تشترك في مجموعة من الخصائص الفكرية والعقائدية، مثل التفسير الحرفي للنصوص المقدسة والتأكيد على إعادة تشكيل المجتمع وفق قيم دينية محافظة، فإنها لا تمثل نمطاً واحداً من التنظيم أو السلوك السياسي. فبعض هذه الجماعات يظل محصوراً في النشاط الدعوي والاجتماعي، ويعمل داخل الأطر المؤسسية والقانونية للدولة، بينما يتجه بعضها الآخر إلى تبنّي إستراتيجيات راديكالية قد تشمل العنف المسلح أو التمرد على السلطة السياسية.

ويمكن التمييز بين هذين النمطين من خلال مجموعة من المعايير التحليلية التي تتعلق بطبيعة الخطاب الديني، وموقف الحركة من الدولة، وأنماط التنظيم الداخلي، وأدوات التعبئة الاجتماعية التي تعتمد عليها. فالجماعات العنيفة تميل عادة إلى تبنّي خطاب ديني صراعي يقوم على فكرة «المعركة الروحية» ضد قوى الشر أو ضد الأنظمة السياسية التي تُصوَّر بوصفها غير شرعية أو معادية للدين. كما تعتمد هذه الجماعات على هياكل تنظيمية مغلقة وقيادات كاريزمية تمتلك سلطة روحية مطلقة على الأتباع، الأمر الذي قد يُسهم في تبرير استخدام العنف لتحقيق أهداف دينية أو سياسية.

في المقابل؛ تميل الجماعات الأصولية غير العنيفة إلى العمل ضمن المجال العام من خلال المؤسسات الدينية والاجتماعية، مثل الكنائس والمدارس والمنظمات الخيرية، وتسعى إلى التأثير في المجتمع والسياسة بوسائل سلمية كالتعبئة الانتخابية أو الضغط الأخلاقي على صناع القرار. وعلى الرغم من أن هذه الجماعات قد تتبنّى خطاباً دينياً محافظاً أو نقدياً تجاه بعض مظاهر

(١) Marshall, R. (2009). Political spiritualities: The Pentecostal revolution in Nigeria. University of Chicago Press. Also see: Ranger, T. (2008). Evangelical Christianity and democracy in Africa. Oxford University Press.

الحداثة؛ فإنها لا تتبنّى عادةً إستراتيجيات عنيفة لتحقيق أهدافها.

وعلى هذا الأساس؛ يمكن تصنيف الجماعات الأصولية المسيحية، لأغراض هذه الدراسة، إلى ضربين: جماعات (عنيفة)، وجماعات غير عنيفة (سلمية)، هذا على الرغم من اتفاقها على السمات اللاهوتية والعقائدية التي تميز الجماعات الأصولية بصفة عامة، وفي إفريقيا بصفة أخص:

أولاً: الجماعات الأصولية العنيفة:

هي جماعات تتبنّى خطاباً دينياً متشدداً، وتلجأ إلى العنف المسلح، أو الإكراه الديني، أو العنف الرمزي لتحقيق أهدافها العقائدية والسياسية، فهي بجانب التفسير الحرفي للنصوص الدينية، تتصف غالباً بتبرير «العنف المقدس»، وتتميز ببنية تنظيمية شبه عسكرية أو سرية، وبقيادة كاريزمية ترى نفسها مُلهَمة أو ذات تفويض إلهي.

١) حركة جيش الرب في أوغندا LRA:

شهدت منطقة شمال أوغندا منذ أواخر ثمانينيات القرن العشرين ظهور واحدة من أكثر الحركات المسلحة إثارةً للجدل في إفريقيا، وهي حركة جيش الرب للمقاومة The Lord Resistance Army بقيادة جوزيف كوني، التي أدى نشاطها إلى خلق واحدة من أطول وأعقد الأزمات الإنسانية في منطقة البحيرات الكبرى، وتحولت إلى ما يشبه تنظيماً عابراً للحدود، حيث امتد تأثيرها إلى جنوب السودان وجمهورية الكونغو الديمقراطية وجمهورية إفريقيا الوسطى.

• الخلفية التاريخية لنشوء الحركة:

ظهرت الحركة كامتداد فكري وروحي لحركة «أليس لوكوينا» المُسمّاة بـ«حركة الروح القُدُس» Holy Spirit movement، التي تبنّت مزيجاً من المسيحية الشعبية والمعتقدات الروحية المحلية. ومع سقوط حركة لوكوينا، ورث جوزيف كوني شبكة أتباع متفككة وحوّلها إلى حركة مسلحة ذات طابع ديني عقائدي صارم[١].

• الفكر الديني والأيديولوجيا داخل جيش الرب:

تُقدّم الحركة خطاباً يعتمد على خليط من: تفسير مسيحي أصولي يستند إلى الوصايا العشر ونبوءات ميتافيزيقية وتفسير حرفي للكتاب المقدس، وسلطة كاريزمية مطلقة للزعيم كوني الذي يُنظر إليه كوسيط روحي قادر على التواصل مع «العالم المقدس» وتلقي أوامر غيبية، وطقوس روحية محلية تقوم على استخدام «الزيوت المقدسة»، الأحلام، واستحضار الأرواح، مما أضفى على الحركة طابعاً سينكريتياً (مزيجاً دينياً)، وتؤمن بضرورة الوصول إلى «نقاء مجتمعي- أخلاقي»، تسعى لإقامته بالقوة[٢].

ورغم الحضور القوي للخطاب الديني؛ تشير الدراسات الحديثة إلى قوة تأثير عوامل سياسية واقتصادية على الحركة، مثل التهميش، وانهيار المؤسسات المحلية، وغياب فرص التنمية في الشمال[٣].

• العنف في ثقافة الحركة:

أصبحت LRA واحدة من أكثر الحركات المسلحة ارتباطاً بالعنف المنهجي والواسع النطاق، حيث تتبنَّى العنف كوسيلة «تطهير» ديني وسياسي. ويمكن تصنيف مظاهر العنف لديها في ثلاثة مستويات:

١- العنف كوسيلة تجنيد: حيث اعتمدت الحركة، بشكل شبه كامل، على (الاختطاف القسري)

---

(١) Allen, T & Vlassenroot, K (2010), The Lord Resistance Army: Myth and Reality, Zed Books.

(٢) Branch, Adam. (2011). Displacing Human Rights: War and Intervention in Northern Uganda. Oxford University Press. See also Gifford, Paul. (2007), & Dolan, Chris. (2009). Social Torture: The Case of Northern Uganda, 1986–2006. Berghahn Books.

(٣) Allen, T (2020), Joseph Kony and the Lord Resistance Army, Oxford Research Encyclopedias of African History.

للأطفـــال واليافعين، وإخضاعهم لبرامج غســـيل دماغ، وتشير تقارير إلى اختطاف عشرات الآلاف عبر العقود[١].

٢- العنف كأداة سيطرة وترهيب: اســـتخدمت الحركة القتـــل الجماعـــي، والتشـــويه، وإحراق القرى، والعنف الجنسي كأسلحة إستراتيجية ضد المدنيين، بهدف معاقبـــة المجتمعات التي يُعتقد أنها متعاونـــة مع الحكومة، وبجانـــب بث الرعب لضمان الطاعة.

٣- العنف الطقوسي Ritualized Violence: يتضمن هذا العنف ممارسات رمزية تمزج بيـــن الطقوس الدينية والعنـــف، مثل إجبار الأطفـــال على ارتكاب أعمال قتـــل لضمان «قطع الروابط» مـــع مجتمعاتهم الأصلية. هذه الطقوس تعيد إنتـــاج الولاء للحركة وتربط الأفراد نفســـياً بقيادتها.

• البنية التنظيمية للحركة:

تتمتـــع LRA ببنية هرمية شـــديدة المركزية يديرها كوني عبر شـــبكة من القـــادة الميدانيين. ورغـــم الضربات العســـكرية التـــي تعرضت لها؛ حافظت الحركـــة على قدرة عاليـــة على الحركة وإعادة التموضع في مناطق وعرة وعابرة للحدود[٢].

تُظهر الدراسات أن الحركة تكيّفت مع الضغوط العسكرية عبر لامركزية عملياتية تجعل من الصعب القضاء عليها، مـــع إعادة التموضـــع الجغرافي، واستغلال هشاشة الدول المجاورة، وبناء علاقات مؤقتة مع شـــبكات التهريب، واستغلال للموارد في الكونغو وإفريقيا الوسطى[٣].

• التأثيرات السياسية والاجتماعية للحركة:

سياســـياً تســـببت الحركـــة في أزمـــة أمنية وسياســـية ممتـــدة لأكثر من عقديـــن، نجم عنها اســـتنزاف قدرات الدولة الأوغندية في الشمال، كما أدت إلـــى تدويل الصراع، إلى الحد الذي دفع المحكمـــة الجنائية الدولية عـــام ٢٠٠٥م لإصدار مذكرات توقيف بحق كوني وقادة آخرين[٤].

واجتماعياً؛ خلّفت الحركـــة مئات الآلاف من النازحين، وتســـببت في انهيار للنسيج الاجتماعي في مناطق الأشـــولي، كما أدت إلى انتشار ظواهر ما بعد الصدمات PTSD.

ومـــن جانب آخر؛ أوجـــدت صعوبات ضخمة في برامج إعادة الإدماج للمختطفين الســـابقين، خاصةً النســـاء والأطفال. وتشير الأبحاث إلى أن العنـــف لم يتوقف حتى مع ضعف الحركة، إذ ظلت بقايـــا LRA تهدد مجتمعات في الكونغو وإفريقيا الوسطى[٥].

تُقـــدّم حركة جيش الـــرب مثالاً بـــارزاً على تداخل العامل الديني والعامل السياســـي والعنف في سياقات الدولة الضعيفة في إفريقيا، ويوضح التحليـــل أن الحركة ليســـت مجـــرد حركة دينية

(١) Human Rights Watch (1997). The Scars of Death: Children Abducted by the Lord's Resistance Army in Northern Uganda. See also: Human Rights Watch. (2003). Abducted and Abused: The Lord Resistance Army in Northern Uganda.

(٢) Small Arms Survey. (2011). Lord's Resistance Army: Update as of 10 October 2011. Small Arms Survey, Graduate Institute of International and Development Studies.

(٣) Moreto, W. D. (2019). Outside the frame: Looking beyond the myth of LRA ivory trafficking. Conservation & Society, 17(3), 218–229. See also: Laruni, E., & Rocha da Silva, C. (2014). Capturing Kony? At the Expense of Protecting Civilian Lives: The LRA in the Central African Republic. Human Security Centre.

(٤) International Criminal Court. (2005 - 2022). ICC Case: The Prosecutor V. Joseph Kony, et al.

(٥) Kelly. J. T. D, et al. (2016). Abducted Children and Youth in The Lord Resistance Army. Conflict and Health, 10)1(.

متطرفة، بـــل كيان مركّب ومرتبط بعوامل تاريخية وبنيويـــة، وأصولية الحركة هنـــا جزء من منظومة تفسيرية أوسع وليســـت العامل الوحيد، وما تزال آثارها السياســـية والاجتماعية حاضرةً حتى اليوم رغم انحسار قوتها العسكرية.

٢) حركة استعـادة الوصايا العشر الإلهية في أوغندا MRTCG:

هي حركة كنســـية أوغندية، اشـــتهرت بسبب مأســـاة جماعية حدثت في عـــام ٢٠٠٠م، وترتكز على معتقـــدات «نهاية العالـــم» والالتزام الصارم «بالوصايـــا العشـــر»[١]. وضمت الحركـــة عدداً مـــن الكهنة والراهبات الســـابقين من الكنيســـة الكاثوليكية، وأنشأت عِدّة مســـتوطنات جماعية، تدعو إلـــى طاعة الوصايا العشـــر، وانتظار نهاية العالم.

- **نبذة تاريخية:**

تأسست حركة استعادة الوصايا العشر الإلهية movement for the Restoration of the Ten Commandments of God في أوغندا، عام ١٩٨٩م، على يد كل من «كريدونيا مويريندي» Credonia Mwerinde، و«جوزيـــف كيبتيري» Joseph Kibweteere، وتعـــود جـــذور الحركة إلى «باولو كاشـــاكو»، والد كريدونيـــا مويريندي، الذي زعم رؤية ابنته الراحلة إيفانجيليســـتا ورؤى ســـماوية في ١٩٨٨م، مما دفعه لتأســـيس مكان لتجمُّع مَن يصفهم بالمؤمنين بالقرب من كانونغو. شاركت مويريندي وابنتها أورسولا كوموهانجي في نشر رســـالة العذراء مريم، وانضم إليهما جوزيف كيبتيري، لتشـــكيل الحركة مع هدف نشـــر رسالة نهاية العالم[٢].

برزت الحركة في سياق الاضطرابات السياسية والاجتماعية في أوغندا في أواخر القرن العشرين، وأزمة الإيدز، والحـــرب الأوغندية الداخلية، التي أوجدت حالة من الخوف وعدم اليقين، فاســـتغل مؤسســـو الحركة وقادتها الكاريزميون هذا الواقع لكســـب أتباع من خلال وعدهم بالخلاص والنجاة من نهاية العالَم.

في ١٩٩٢م، انتقل أعضاء الحركة إلى كانونغو وأنشـــؤوا مجتمعاً تعاونياً. نما المجتمع بســـرعة، حيث عاش المئات حياة زاهدة مع الالتزام الصارم بالوصايا العشـــر، وبنوا منازل وكنيســـة ومدرسة، ووســـعوا جهودهم التبشـــيرية في أنحاء أوغندا. بحلـــول أواخـــر التســـعينيات، بلغ عـــدد أعضاء الجماعة حوالي ٥٠٠٠ عضو.

في ١٧ مـــارس ٢٠٠٠م، تجمّع أعضاء الحركة في الكنيســـة القديمة في كانونغو، حيث تم إحراق المبنـــى بعد إغلاق أبوابه ونوافـــذه، مما أدى إلى وفاة ٥٣٠ شـــخصاً داخل المبنى. وبعد التحقيق، اكتشفت السلطات مئات الجثث في مواقع مختلفة، وتبين أنها تعرضت للتسميم وربما القتل المخطط له من قِبل قيادة الحركة.

- **المعتقدات والممارسات:**

اســـتندت معتقدات الحركة إلـــى الكاثوليكية الرومانية، خلافاً لغالـــب الحركات الأصولية التي تنحدر في الأساس من البروتستانتية، وركّزت على «الوصايا العشـــر» الموســـوية، وعلى نهاية العالم، واعتبرت أن الخـــلاص ممكن فقط بالالتزام بهذه الوصايا.

تميَّزت بالكثير من الممارسات المتنطعة، مثل:

(١) الوصايا العشر في المسيحية واليهودية: هي مجموعة من عشرة قوانين أخلاقية أساسية، أنزلها الله تعالى على النبي موسى-عليه السلام- في جبل سيناء، تُعتبر جوهر الشريعة اليهودية والمسيحية، وتنظم العلاقة بين الإنسان وربه وبين الإنسان وأخيه الإنسان.

(٢) New Religious Movements website:
https://newreligiousmovements.org/m/movement-for-the-restoration-of-the-ten-commandments-of-god/?utm_source=chatgpt.com

تقليل التواصل اللفظي، الاعتماد على لغة الإشارة، الصوم، تحريم العلاقات الجنسية، الصلاة الليلية بقيادة اثني عشر رسولاً، الانفصال عن المجتمع الخارجي، وبيع الممتلكات، والعيش في معيشة مشتركة، وتفسير العذراء مريم كشخصية أساسية في نهاية الزمان، واعتبرت الحركة مجمعهم بمثابة «سفينة نوح» في زمنهم[١].

ترفض الحركة المؤسسات الدينية الرسمية، وتبرر العنف بدعوى الخلاص الروحي، وقد أجرى «فوكيس» Vokes، بحثاً إثنوغرافياً معمّقاً في حركة MRTC، أثبت فيه «السرية» القوية داخل الجماعة، ما يشير إلى أنها ليست فقط مجرد حركة تأسست داخل الكنائس التقليدية، بل طائفة مستقلة جداً؛ هذا يدعم فكرة «رفض المؤسسات الدينية الرسمية» بطريقة غير مباشرة، وناقش كيف أن الجماعة كانت تتوقع نهاية العالم، وهذا النوع من المعتقدات (الأبوكاليبتية)[٢] قد يفسر دوافع بعض الأفعال العنيفة أو التضحية بالنفس أو الاستعداد للموت[٣].

- **الدلالات والتأثيرات الاجتماعية والسياسية:**

يُعتبر هذا النموذج حالة غنيّة من منظور بحثي، ويمكن اعتبارها نموذجاً لدراسة كيفية تحوّل المعتقدات الدينية العادية إلى حركات (خطرة) عند اجتماع «قيادة كاريزمية» مع «رؤية نهاية العالم» في ظل عزلة الجماعة عن العالم الخارجي، والتحفيز المستمر للأتباع على التضحية، واستثمار الموارد.

وتُظهر هذه الحالة كيف أن الاتجاهات الأصولية المتطرفة، خاصةً التي تعتنق (فكرة نهاية الزمان والتحوّل الجماعي)، يمكن أن تتداخل مع البنية الاجتماعية والسياسية بطريقة مدمّرة.

ويجدر هنا الإشارة إلى بعض الآثار التي نجمت عن حادثة الانتحار الجماعي:

١- بعد الحادثة، عمدت أوغندا إلى مراجعة قانون تسجيل وتشريع الجماعات الدينية، وزاد الوعي بخطر الجماعات «الطائفيّة-السرّية»[٤].

٢- مثلت صدمة للمجتمعات المحلية الريفية التي فقدت عدداً من أبنائها، أو شهدت تأثيرات نفسية واجتماعية جراء التبعية للجماعة.

٣- أبرزت التجربة كيف أن الجماعات الدينية يمكن أن تنزلق إلى الأزمة تحت غطاء ديني، في ظل عدم وجود رقابة كافية من قِبل الدولة.

من حيث التأثير السياسي، ربما لم تُطلِق الجماعة حركة سياسية منظمة كما في حالات أخرى، لكنها أثّرت في الخطاب العام حول التنظيم الديني، والعلاقة بين الدين والمجتمع المدني.

ثانياً: الجماعات الأصولية غير العنيفة:

هي جماعات ذات خطاب مسيحي محافظ أو أصولي، وتتجلى فيها جميع سمات الحركات الأصولية المسيحية، من الإيمان بحرفية الإنجيل، وتبنّي التجديد الروحي، والاعتقاد بالقداسة والنبوءات، والنهج المتشدد في السلوك والأخلاق، ولديها شعور بالتميُّز الاجتماعي، وقد تلجأ إلى العزلة الطائفية وممارسة الضغط الاجتماعي على أفرادها، ولكنها لا تستخدم العنف كوسيلة للتمدد والانتشار وتحقيق أهدافها.

---

(١) the same source.

(٢) الأفكار الأبوكاليبتية، نسبةً للكلمة اليونانية أبوكاليبس apokálypsis، وتعني: الكشف أو رفع الحجاب، تُستخدم في الدراسات الدينية للدلالة على المعتقدات حول نهاية العالم، والظهورات، والنجاة، والخلاص الروحي.

(٣) Vokes, R. (2009). Ghosts of Kanungu: Fertility, Secrecy & Exchange in the Great Lakes of East Africa. James Currey/ Fountain Publishers.

(٤) Walliss, J. (2005). Making Sense of the Movement for the Restoration of the Ten Commandments of God. Nova Religio, 9(1), 49–73. https://doi.org/10.1525/nr.2005.9.1.049

١) كنيسة الله المُفدَّاة Redeemed[١] Christian Church of God- RCCG:

تُترجم أحياناً بـ(كنيسة شعب الرب)، يقع مقرها في إيبوتي ميتا، لاجوس/ نيجيريا. وتُعتبر من الكنائس المسيحية الأكثر نفوذاً وانتشاراً في نيجيريا، خاصةً في جنوب البلاد، وتمتلك شبكة واسعة من الكنائس، ويُعدّ رمزها «الحمامة» جزءاً من المشهد الثقافي في نيجيريا.

ولها وجود في ١٩٧ دولة ومنطقة حول العالم، وينتمي إليها أكثر من ٥ ملايين عضو في نيجيريا وحدها، تُعدّ واحدة من أكبر الطوائف الكنسية في العالم، حيث يزيد عدد أعضائها عن ٩ ملايين عضو عالمياً. وتتلخص رسالة الكنيسة في أن «يكون في كل بيت على الأقل عضو واحد من كنيسة المسيح المخلص في العالم كله»[٢].

• **نبذة تاريخية:**

أسسها القس «جوزيف. أكيندويومي» Josiah Akindayomi في عام ١٩٥٢م، ثم خلفه في قيادتها، بعد وفاته عام ١٩٨٠م، ابنه القس «إ.أ. أديبوي» E.A. Adeboye، الذي كان محاضر رياضيات في جامعة لاجوس، تم تعيينه كقائد للكنيسة بلقب «المشرف العام» رسمياً بعد قراءة الوصية المغلقة لمؤسس الكنيسة، من بعد وفاته. في عام ١٩٩٠م، تأسست مدرسة الكتاب المقدس التابعة للكنيسة[٣].

• **أصول الحركة ومعتقداتها:**

كنيسة المسيح المُخلّص RCCG هي كنيسة كبرى، وتنظيم ديني واسع الانتشار، وهي تندرج ضمن حركة الكنائس الخمسينية.

وتعتمد معتقداتها على الكتاب المقدس، والثالوث الأقدس، وتؤمن بوجود الشيطان، وأن الله خلق الإنسان على صورته، وتؤمن بالتوبة، والتطهير من الخطايا بنعمة الله، والتقديس، والمعمودية بالماء، والمعمودية بالروح القدس (التكلم بالألسنة)، والتعويض، وقدرة الله على الشفاء بدون دواء (بتدخل إلهي مثل الصلاة)[٤].

من البرامج الروحية المميزة هناك «خدمة الروح القدس» التي تقام في أول جمعة من كل شهر في نيجيريا، بالإضافة إلى «مؤتمر الروح القدس» السنوي في أغسطس و«كونغرس الروح القدس» في ديسمبر.

• **البنية التنظيمية:**

تقوم RCCG على تنظيم هرمي يبدأ من الفروع المحلية وصولاً إلى القيادة العامة[٥]، مع وجود نظام رقابي صارم وهيئات تعليمية واجتماعية مرتبطة بها[٦].

---

(١) لم أجد ترجمة عربية شائعة لاسم كنيسة RCCG، كما لم أجد أدبيات باللغة العربية تحمل اسم عربي للكنيسة، ولذلك أقرب ترجمة لـ The Redeemed Christian Church of God، هي «كنيسة الله المفدّاة» أو «كنيسة الرب المفتداة»، لأن مدلول كلمة Redeem الأكثر شيوعًا في السياق الديني المسيحي، هو «يَفدي/ يُخلِّص»، انظر:
Fretheim, T. E., & Petersen, D. L. (2011). Theological Lexicon of the Old Testament. Hendrickson Publishers.

(٢) "RCCG – The Official Website Of The Redeemed Christian Church of God". Retrieved 2024-09-21.

(٣) History and Growth of RCCG, report in vanguard newspaper, August 3, 2014: https://www./vanguardngr.com/2014/08/history-growth-rccg

(٤) The Official Website of RCCG - https://www./rccg.org/our-beliefs :

(٥) Ukah, A.-F.-K. (2004). The Redeemed Christian Church of God (RCCG), Nigeria: Local identities and global processes in African Pentecostalism (Doctoral dissertation, University of Bayreuth). University of Bayreuth. https://epub.uni-bayreuth.de/968/1/Ukah.pdf

(٦) Adebayo, K. F. (2025). The story of Redeemed Christian Church of God, Nigeria. Religions.

• **الدلالات والتأثيرات السياسية والاجتماعية:**

تتمتع الكنيسة بنفوذ سياسي غير مباشر من خلال توجيه أعضائها، وإقامة علاقات مع نخب سياسية، وحشد جماهيري عند الحاجة، دون انخراط حزبي مباشر[١].

ثقافياً؛ أسهمت في تشكيل نموذج «الحياة الخمسينية» في المدن النيجيرية، وفي نشر قيم محافظة مرتبطة بالسلوك العام، بينما تمتلك مشاريع تعليمية وصحية واسعة[٢]. أما دولياً؛ فقد أصبحت شبكة دينية عبر قومية تخاطب الناطقين بالإنجليزية والنيجيريين في الشتات[٣].

يوضح تحليل خطاب RCCG أنها تُظهر نزعة أصولية «أخلاقية – عقائدية» متشددة في داخلها (مثل الانضباط الروحي، مكافحة الرذيلة، مركزية النص)، لكنها ليست حركة أصولية عنيفة أو سياسية صدامية[٤].

تُشكل كنيسة الله المُفدّاة نموذجاً فريداً يجمع بين أصولية لاهوتية وانفتاح إداري مؤسسي، وهو ما يفسّر انتشارها العالمي وقدرتها على التأثير الثقافي والاجتماعي في نيجيريا وإفريقيا.

٢) كنيسة الحياة العميقة Deeper Life Bible Church:

تُعدّ «كنيسة الحياة العميقة» Deeper Life Bible Church واحدة من أكبر الكنائس المسيحية الأصولية الخمسينية في إفريقيا والعالم، ولها حضور قوي في بلدان متعددة داخل القارة وخارجها[٥]. وقد أسسها القس الدكتور «ويليام فولورونسو كومويي» William Folorunso Kumuyi، الذي كان يعمل محاضراً في الرياضيات بجامعة لاغوس في نيجيريا[٦].

بدأت الكنيسة في عام ١٩٧٣م كمجموعة صغيرة لدراسة الكتاب المقدس تضم ١٥ طالباً جامعياً في لاغوس، ثم توسعت سريعاً لتضم عشرات الآلاف بحلول أوائل الثمانينيات، قبل أن تتحول رسمياً إلى «كنيسة الحياة العميقة للكتاب المقدس» عام ١٩٨٢م[٧]. ومنذ ذلك الوقت، انتشرت في مختلف أنحاء إفريقيا، ولها فروع في أكثر من ٤٠ دولة، ويُقدَّر عدد أعضائها بأكثر من ٨٠٠,٠٠٠ عضو في نيجيريا وحدها، وأكثر من مليون في ٦٢ دولة، مع حضور أسبوعي في لاغوس وصل إلى أكثر من ٦٥,٠٠٠ شخص[٨].

• **أصول الحركة ومعتقداتها:**

تُصنَّف الكنيسة على أنها حركة مسيحية أصولية إنجيلية خمسينية، حيث تؤكد على حرفية الكتاب المقدس وعصمته وتطبيقه العملي في الحياة اليومية[٩]. كما تتمسك بالأصول العقائدية التقليدية مثل الميلاد العذراوي للمسيح، والكفارة البدلية، والقيامة الجسدية للمسيح، والدقة التاريخية للكتاب المقدس ومعجزاته[١٠].

---

(١) The same source.

(٢) ResearchGate Study. (2024). Nigerian Pentecostal megachurches and development: A diaconal analysis of the RCCG.

(٣) Ukah, A. F. K. (2004). Previous source.

(٤) The same source.

(٥) Ojo, M. (2006). The End-Time Army: Charismatic Movements in Modern Nigeria. Africa World Press.

(٦) Ukah, A. F. K. (2008). A New Paradigm of Pentecostal Power: A Study of the Redeemed Christian Church of God in Nigeria. Africa World Press.

(٧) Falaye, T. A. (2015). The history, founder, beliefs and practices of Deeper Life Bible Church.

(٨) Deeper Christian Life Ministry. (2024). About the ministry. Retrieved November 23, 2025, from https://dclm.org

(٩) See again (Ojo, 2006).

(١٠) See again (Ukah, 2008).

وباعتبارها كنيسة خمسينية؛ فهي تؤمن بمواهب الروح القدس، بما في ذلك التكلم بألسنة والشفاء الإلهي؛ رغم تشديدها على أن هذه المواهب تُمنح بالروح ولا تُعلَّم بشكل اصطناعي[١].

في الجانب السلوكي والأخلاقي؛ تلتزم الكنيسة بمعايير صارمة تركّز على القداسة الشخصية والانضباط والابتعاد عن الممارسات الدنيوية[٢].

• **الجوانب التنظيمية والحركية:**

تعتمد الكنيسة تنظيماً هرمياً يبدأ بالفروع المحلية ويمر بالمناطق والولايات والمراكز الإقليمية وصولاً إلى المقر العام في (غباغادا – لاغوس)، ويترأسه المشرف العام General Superintendent (و. ف. كوموبي)، الذي يشرف على الشؤون الروحية والإدارية للكنيسة[٣]. ويعتمد منهجها التعليمي على اجتماعات ضخمة، وأخرى صغيرة لمجموعات منزلية، لدراسة الكتاب المقدس، مع تركيز كبير على التبشير، حيث يُشجَّع القادة على تخصيص نصف وقتهم لنشر رسالة الإنجيل[٤].

• **التأثير:**

تُسهم الكنيسة بفاعلية في تطور المسيحية الإفريقية المعاصرة، عبر نشر نموذج للسلوك الأخلاقي والمحافظة الاجتماعية التي تؤثر في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية في المجتمعات التي تنشط فيها[٥]. وباختصار؛ تُعدّ كنيسة الحياة العميقة حركة مسيحية ذات تأثير عالمي انطلقت من نيجيريا، مع تركيز مكثف على التعليم الكتابي والحياة المقدسة والتبشير.

من خلال العرض السابق؛ يمكن تلخيص الفروق بين الجماعات الأصولية المسيحية العنيفة وغير العنيفة من خلال الجدول الآتي:

جدول: معايير التمييز بين الجماعات الأصولية المسيحية العنيفة وغير العنيفة في إفريقيا:

المعيار التحليلي	الجماعات الأصولية غير العنيفة	الجماعات الأصولية العنيفة
طبيعة الخطاب الديني	خطاب صارم يركز حرفية الكتاب المقدس وعصمته وتطبيقه العملي في الحياة اليومية.	خطاب يعتمد على تفسير مسيحي أصولي ونبوءات ميتافيزيقية وتفسير حرفي للكتاب المقدس.
العلاقة مع الدولة	نفوذ سياسي غير مباشر من خلال توجيه أعضائها، وإقامة علاقات مع نخب سياسية والحشد الجماهيري.	رفض شرعية الدولة أو السعي لإسقاطها أو تحدي سلطتها.
أدوات العمل	التبشير، العمل الاجتماعي، المؤسسات التعليمية.	التمرد المسلح، العنف، التجنيد القسري.
نمط التنظيم	تنظيم هرمي يبدأ من الفروع المحلية وصولا إلى القيادة العامة.	تنظيم مغلق شديد المركزية يعتمد على قيادة كاريزمية.
مجالات النشاط	المدن الكبرى والمجتمعات الحضرية.	النزاعات المسلحة والمناطق الهشة سياسيا.
نمط التأثير السياسي	التأثير عبر الانتخابات والرأي العام.	التأثير عبر العنف أو التمرد.

المحور الثالث: التأثير الاجتماعي والسياسي والثقافي للجماعات الأصولية المسيحية:

تلعب بعض الجماعات الأصولية المسيحية في إفريقيا دوراً متزايد الأهمية في المجالين السياسي والاجتماعي في عدد من دول إفريقيا جنوب الصحراء، بوصفها فاعلاً جماهيرياً قادراً على تعبئة قطاعات واسعة من السكان، خصوصاً في دول مثل نيجيريا وأوغندا وكينيا والكونغو الديمقراطية.

أولاً: التأثير السياسي:

تتراوح مواقف الأصولية المسيحية بين الانخراط في السياسة والتحفظ عنها، وقد أصبحت بعض الكنائس فاعلاً مؤثراً في صياغة

(١) (See again (Falaye, 2015.

(٢) (See again (Ojo, 2006.

(٣) (See again (Falaye, 2015.

(٤) (See again (Ukah, 2008.

(٥) (See again (Ojo, 2006.

السياسات العامة مثلما في نيجيريا وغانا[١]، وغيرهما من الدول الإفريقية، وفي أحيان أخرى كانت سبباً في توترات وصراعات سياسية، وفتن طائفية وحروب أهلية ونزاعات داخلية.

وعلى الرغم من كون هذه الحركات لا تفضل الانخراط المباشر في العمل الحزبي؛ فإنها دائماً ما تستخدم نفوذها الاقتصادي والاجتماعي والإعلامي، حيث تمتلك الأصولية مؤسسات ضخمة ومؤثرة في كل هذه المجالات، وهي تستغل النفوذ الذي توفره لها هذه المؤسسات في ممارسة الضغط على السياسيين لتحقيق أهدافها، وبصفة عامة يظهر تأثيرها السياسي في ثلاث قضايا:

١- علاقتها بالأحزاب والأنظمة الحاكمة والميليشيات المتمردة:

بدأت مزاحمة الكنائس الأصولية في مضمار العمل السياسي في إفريقيا، في فترة مبكرة، تمتد منذ حقبة النضال ضد الاستعمار الأوروبي، حيث كان الأصوليون الخمسينيون هم الداعمين الأساسيين لانتفاضة «الماو ماو» في كينيا عام ١٩٥٢م من خلال قبيلة كيكيو. وفي فترة ما بعد الاستقلال، اتجهت الخمسينية للسيطرة على القطاعات الحيوية في معظم الدول الإفريقية، كالإعلام والاقتصاد، كما يشير تقرير معهد بيو للأبحاث عام ٢٠٠٦م[٢].

فقد أسهمت هذه الجماعات، عبر خطابها التعبوي وتنظيماتها الكنسية الواسعة، في دعم بعض الحكومات أو الضغط عليها في قضايا تتعلق بـ: الفساد، والأخلاق العامة، ومسؤولية الدولة تجاه مواطنيها، كما هو واضح في التحالفات السياسية بين الكنائس الخمسينية والحكومات المنتخبة في نيجيريا[٣].

واستغل الأصوليون انتشارهم الشعبي ونفوذهم الديني المؤسسي والمالي في محاولة للتحكم في «مَن يصل إلى السلطة ومَن يترجل عنها؟»! الأمر الذي جعل الساسة المسيحيين يسعون إلى تملُّقها وكسب رضاها، من أجل تحصيل دعمهم في الانتخابات، أو للتغلب على الحملات السياسية الموجهة ضدهم من الداخل أو الخارج.

من هؤلاء الزعماء: «فريدريك تشيلوبا» في زامبيا خلال انتخابات عام ١٩٩١م، والرئيس الغاني «جيري راولينغز»، والرئيس الكيني «دانييل أراب موي»، ورئيس زيمبابوي السابق «روبرت موغابي»، الذين استفادوا من إعلانهم الانتماء للكنائس الخمسينية، أو انتماء بعض أقربائهم، في جلب التأييد والدعم لحملاتهم الانتخابية، أو في مواجهة الانتقادات الموجهة لحكمهم.

٢- دورها في النزاعات الداخلية والتعبئة الدينية:

تسببت الحركات الأصولية بشكلٍ أو آخر في صراعات ونزاعات مدمرة على مستوى القارة، ويُعتبر العنف الطائفي الذي مارسه جيش الرب للمقاومة مثالاً شاخصاً على مدى التأثير المدمر للأصولية المسيحية المتطرفة العنيفة، خصوصاً حين ترتبط بالإشكالات العرقية والمناطقية.

يستشهد «بول غيفورد» Paul Gifford، وهو أستاذ للدراسات الدينية في عدد من الجامعات البريطانية ويُعد أحد أبرز الباحثين في دراسة المسيحية الإفريقية المعاصرة، بعدة أمثلة واقعية على استخدام الكنائس الأصولية الخطاب الوعظي

(١) Ellis, S., & Ter Haar, G. (2007). Religion and politics in sub-Saharan Africa. The Journal of Modern African Studies, 45(3), 385–401.

(٢) مركز بيو للأبحاث، تقرير الروح والقوة- دراسة استقصائية في ١٠ دول عن الخمسينية، ٥ أكتوبر ٢٠٠٦م.

(٣) See again (Marshall, R. 2009). See also: Ranger, T. (2008). Evangelical Christianity and democracy in Africa. Oxford University Press.

والتعبئة الدينية لدعم مواقف محددة، حيث يُشير إلى حالة كنائس «وورد أوف فايث» Word of Faith في غانا ودعم السياسات النيوليبرالية، فيذكر أن الكنائس الخمسينية في غانا- مثل Christian Action Faith Ministries CAFM بقيادة نيكولاس دنكان- ويليامز- استخدمت الخلايا المنزلية واجتماعات الصلاة الأسبوعية لتعبئة الأتباع نحو قبول السياسات الاقتصادية للحكومة باعتبارها «إرادة الله» التي ستجلب الازدهار للمؤمنين.

ويبيّن غيفورد أن هذه الشبكات لعبت دوراً في نشر خطاب سياسي مؤيد للإصلاحات الاقتصادية (مثل تحرير السوق، وخصخصة قطاعات الدولة)، حيث كان القادة الدينيون «يبرّرون» هذه التوجهات على المنابر باعتبارها طريقاً نحو تحقيق الازدهار الروحي والمادي[١].

وفقاً لغيفورد؛ فإن كنيسة الله المفدّاة الكتابية RCCG قد طورت شبكة واسعة من خلايا المنازل House Fellowships التي تُستخدم، ليس فقط كأداة رعوية، بل أيضاً لبناء سلوك «اجتماعي سياسي» معيّن بين أعضائها. فالوعظ في هذه الخلايا يركّز على قيم مثل الخضوع للسلطة، والانضباط، ورفض الفساد، وطاعة القوانين، وهو ما اعتبره غيفورد شكلاً من أشكال «الهندسة الأخلاقية» التي تهدف إلى إنتاج مجتمع محافظ سياسياً[٢].

يذكر غيفورد أنّ عدداً من الكنائس الخمسينية في نيروبي، خاصةً Deliverance Church و RCCG، تحوّلت إلى منصّات للتعبئة السياسية خلال الانتخابات.

وقد استخدمت هذه الكنائس مجموعات الصلاة المنزلية لتوجيه الأعضاء لدعم مرشّحين مُعيّنين، تحت خطاب ديني يربط بين «الرجل المسيحي الصالح» و«القيادة الوطنية»، ويشير غيفورد إلى أن هذه التعبئة كانت غالباً «غير مباشرة»، لكنها مؤثرة، إذ تشكّلت كتلة انتخابية مبنية على الولاء الكنسي[٣].

٣- أثرها في الخطاب الديني والمشهد الطائفي:

غالباً ما تُسهم لغة «الصراع الروحي» التي تعتمدها بعض الحركات الأصولية في زيادة الاحتكاك مع المسلمين أو الطوائف المسيحية الأخرى، بينما تتخذ مجموعات أخرى مساراً تعاونياً في العمل الإنساني أو فض النزاعات المحلية.

وتُشير «روث مارشال» Ruth Marshall، وهي باحثة كندية في الأنثروبولوجيا والعلوم السياسية، وتُعدّ واحدة من أبرز المتخصصين في دراسة الدين والسياسة في غرب إفريقيا، إلى الدور الذي لعبته بعض الكنائس الخمسينية في تصعيد التوترات في ولاية جوس (Jos) في نيجيريا، حيث اندمج الخطاب الديني لهذه الكنائس مع الانقسامات الإثنية القائمة بين جماعات «الأهالي» مثل البييرو وبيروم Berom وبين الوافدين وغالبيتهم من قبائل «الهوسا» و«الفولاني» المسلمين. وتوضح أن عدداً من القادة الخمسينيين قدّموا الصراع على أنه معركة روحية بين «شعب الله» وبين «قوى الظلام»، مما أعطى النزاع (السياسي- الإداري) حول الأرض والتمثيل السياسي صبغة دينية حادة وعمّق الاستقطاب بين الجماعات[٤].

وتصف مارشال كيف استخدمت بعض

(١) See again (Gifford, 2015, pp. 98 –103).

(٢) The same Source. 171–176.

(٣) for additional examples, See also: Gifford 2015, pp.97–226.

(٤) See again (Marshall, 2009, pp. 184–189).

الحركات الإنجيلية لغة (استعادة الأرض) و(تطهير المجتمع) في سياق التعبئة الدينية، وهو خطاب ساهم في تحويل الاحتقان الاجتماعي والاقتصادي إلى صراع (ديني- هوياتي) متكرر، خلال أحداث العنف في جوس.

كما خاضت الكنائس الأصولية صراعات سياسية كبيرة مع الإسلام في إفريقيا، في محاولة للحد من تمدده، حتى في الأقطار ذات الأغلبية المسلمة مثل نيجيريا، فعارضت القوانين الإسلامية في الولايات ذات الثقل الإسلامي، وعارضت انضمام نيجيريا لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وفي دول أخرى لا يمثلون فيها أغلبية مثل كينيا، عملت على مناهضة حصول المسلمين على بعض الحقوق السياسية والدستورية التي طالبوا بها، وسعت الكنائس الأصولية بكل جهدها للضغط من أجل منع تضمين (الدستور الكيني) حق المسلمين في إنشاء محاكم خاصة بهم فيما يتعلق بالأحوال الشخصية[١].

ثانياً: التأثير الثقافي والاجتماعي:

أثرت هذه الحركات في شكل الحراك الاجتماعي، كما أثرت في القيم الاجتماعية، فمن ناحية إيجابية: عززت النزعة المحافظة تجاه المرأة والأسرة، وأعادت تشكيل هوية الشباب الحضري في مواجهة التغريب[٢].

ومع ذلك؛ كان لها تأثيرات سلبية بالغة الخطورة، تمثلت في فكرة العزلة الاجتماعية التي تتبناها بعض الحركات الأصولية العنيفة، وكما نتج عن تفسيراتهم لعقيدة (انتهاء العالم) آثار مدمرة، على نحو ما حدث في حالة «حركة استعادة الوصايا العشر» في أوغندا.

وفي قضايا الصحة العامة؛ أبدت بعض الجماعات مواقف سلبية من التطعيم ومكافحة الإيدز، بينما تبنّت أخرى مواقف أكثر انفتاحاً[٣]. وفي بعض السياقات؛ تُبدي هذه الجماعات تحفظاً تجاه البرامج الصحية من خلال تمثُّلات دينية مثل عقيدة «الشفاء الروحي» عند بعض الجماعات الخمسينية، ما يؤدي أحياناً إلى عرقلة السياسات الوطنية للصحة العامة.

وفي المقابل؛ تعمل بعض الكنائس الخمسينية الكبرى على إنشاء شبكات من العيادات والخدمات الطبية التي تقدم رعاية منخفضة التكلفة، وتجمع بين التبشير الديني والخدمات الصحية، ما يجعل تأثيرها مزدوجاً بين النقد والدمج، وبين دعم مبادرات الصحة وبين إعادة تشكيلها وفق رؤيتها اللاهوتية.

بعض الجماعات الأصولية الأخرى تُقدّم خطاباً دينياً داعماً لبرامج صحية حولها «جدل كبير» بين المتدينين بصفة عامة، سواءٌ المسيحيين أو المسلمين، مثل برامج «مكافحة الإيدز»، و«تعزيز الصحة الإنجابية»، و«السلوكيات الوقائية»، رغم أن الأخلاق الجنسية المنضبطة تُعدّ جزءاً من رؤيتها للصحة المجتمعية[٤].

وتمتد آثار هذه الجماعات إلى المجال الثقافي والرمزي للمجتمع، حيث تُعيد تشكيل أنماط السلوك اليومي من خلال التركيز على الانضباط

(١) انظر: مقال للباحث بعنوان، الكنائس الخمسينية في إفريقيا من القداسة إلى السياسة، منشور بمجلة قراءات إفريقية، العدد ٥٨، بتاريخ أكتوبر ٢٠٢٣م.

(٢) Maxwell, D. (2006). African Gifts of the Spirit: Pentecostalism and the Rise of a Zimbabwean Transnational Religious Movement. James Currey.

(٣) Hackett, R. I. J. (2011). Prosperity, Power and Powerlessness in Pentecostal Africa. In Pentecostalism and Development) pp. 27–46).

(٤) Adapted from Keane, F. (2007). Religious movements and public health: Christian responses to HIV/AIDS in East Africa. Journal of Religion in Africa, 37(1), 1–20.

الأخلاقي، والهوية المسيحية المتشددة، وتعزيز نموذج الأسرة المحافظة، وتأطير دور المرأة ضمن أدوار تقليدية، وهو ما ترك تأثيراً واسعاً في المجتمعات الحضرية والريفية على حدٍّ سواء[١].

وتكشف هذه الديناميات أن الجماعات الأصولية المسيحية ليست كتلة واحدة، بل حركات متنوعة تتراوح أدوارها بين دعم الاستقرار وتعزيز الرعاية الصحية، أو إنتاج التوترات الدينية والاجتماعية، وهو ما يجعل فهم تأثيرها ضرورياً لأي تحليل معاصر للمجتمعات الإفريقية.

المحور الرابع: التحديات والتحولات المعاصرة للجماعات الأصولية المسيحية:

تواجه الجماعات الأصولية المسيحية في إفريقيا مجموعة من التحديات البنيوية والاجتماعية، التي تعكس تفاعلها المعقد مع الدولة والمجتمع، وفي نفس الوقت تُمثل هي نفسها تحديات للمجتمع المحيط والدولة.

١) العلاقة مع أنظمة الحكم:

فقد بدأت الحكومات الإفريقية تتعامل مع هذه الحركات بدرجة متزايدة من التدقيق، خاصةً بعد انتشار بعض مظاهر العنف أو الممارسات الطائفية، كما حدث في أوغندا والكونغو الديمقراطية، حيث دفعت أحداث جماعات مثل «حركة استعادة الوصايا العشر» الدولة إلى تعزيز الرقابة على المؤسسات الدينية وتعزيز التشريعات المنظمة لها[٢].

٢) تحديات العلاقة مع المجتمع المحيط:

في الوقت نفسه، يتباين موقف المجتمعات المحلية بين الاحتضان لهذه الجماعات كشكل من أشكال التجديد الأخلاقي والروحاني، وبين القلق من تأثير خطابها الحصري، على التعايش الديني والتماسك الاجتماعي، إذ تُمثل خطابات «التحوّل الروحي الشامل» أحياناً مصدراً للتوتر الاجتماعي[٣].

٣) التحولات الفكرية والتنظيمية:

أما على مستوى التحولات الفكرية والتنظيمية؛ فقد دفعت العولمة ووسائل الإعلام الرقمية الحركات الأصولية لإعادة صياغة خطابها الديني وتكييفه مع التغيرات الاجتماعية، مع الحفاظ على هويتها العقائدية.

فقد استفادت الكنائس الخمسينية والأصولية الكبرى من انتشار الإنترنت ومنصات البث المباشر لتوسيع جمهورها وتكريس قيادة كاريزمية عابرة للحدود، بينما تبنت بعض الحركات مقاربات أكثر انفتاحاً في قضايا التعليم والعمل الاجتماعي، مستجيبةً لضغط المجتمعات الشبابية الحضرية[٤].

ورغم تمسك هذه الجماعات بمبادئها الأساسية؛ فإنها دخلت مرحلة من «المأسسة المتزايدة institutionalization التي تحوّلها تدريجياً من حركات احتجاجية إلى مؤسسات دينية ذات بيروقراطية واضحة وهيكل تنظيمي معقد[٥]،

---

(١) Meyer, B. (2004). Christian crusaders against magic: The moral mapping of spiritual battle in Ghana. Africa, 74(4), 461–483.

(٢) Carrette, J., & Miall, D. (2017). Religion and critical security studies: Intersections and challenges. Routledge.

(٣) Gifford, P. (2015). Christianity, development and modernity in Africa. Hurst & Co.

(٤) Meyer, B. (2015). Sensational movies: Video, vision, and Christianity in Ghana. University of California Press.

(٥) Ranger, T. (2012). Evangelical Christianity and governance in Africa. In The Routledge handbook of religion and politics (pp. 229–242). Routledge

وهو ما كانت تأخذه على الكنائس البروتستانتية التقليدية (كاللوثرية والأنجليكانية).

٤) العلاقة مع الإسلام:

وبشكلٍ عام تتسم العلاقة بين الأصولية المسيحيةً والإسلام في إفريقيا بطابع تفاعلي معقّد، يتراوح بين الصدام المباشر والتعاون البراغماتي، ويعكس ذلك التنوّع الديني والسياسي والاجتماعي للقارة. ففي سياقاتٍ معيّنة؛ تُغذّي الحركات الأصولية- المسيحية والإسلامية على السواء- ديناميات الاستقطاب الديني والهوياتي، خاصةً في مناطق التماس مثل نيجيريا والساحل الإفريقي، حيث تتحول المنافسة على السلطة والموارد إلى صراع عقائدي Ukah, ٢٠٢٠. ففي شمال نيجيريا على سبيل المثال: ساهم كلٌّ من التيارات السلفية الإسلامية وبعض حركات الإحياء المسيحي الخمسيني Pentecostalism في تعزيز حالة «المواجهة القائمة على الهوية» التي تُغذي دورة العنف Gifford, ٢٠٠٨.

لكن في مناطق أخرى؛ ظهرت أشكال من التعاون التكتيكي أو التعايش القائم على المصالح المشتركة، خصوصاً في المبادرات المجتمعية أو جهود الوساطة المحلية في النزاعات Meyer, ٢٠١٥. فعلى الرغم من حدّة التوترات؛ نشأت في عدد من الدول مبادرات تعاونية بين الزعماء المسيحيين والمسلمين لمعالجة النزاعات أو دعم التنسيق الاجتماعي. ففي غانا وتنزانيا؛ تعمل مجالس مشتركة تضم رجال دين مسلمين ومسيحيين على تعزيز السلم الأهلي ومواجهة التطرف، وهو تعاون مدفوع أساساً باعتبارات الاستقرار السياسي والاجتماعي أكثر من كونه انسجاماً عقائدياً[١].

٥) العلاقة مع الطوائف المسيحية الأخرى الأصولية وغير الأصولية:

تتأثر الأصولية المسيحية الإفريقية بعمق بالأصولية الإنجيلية في الولايات المتحدة، سواءٌ عبر التمويل أو التدريب اللاهوتي أو تبادل الخطاب، إذ تستورد بعض الكنائس الإفريقية روايات «الحرب الروحية» و«التهديد الثقافي الغربي الليبرالي» التي تتردد في الدوائر الأصولية الأمريكية[٢].

أما الطوائف المسيحية الأخرى غير الأصولية؛ فإن العلاقة بينها وبين الجماعات الأصولية المسيحية تتراوح بين الصراع العقائدي، والحوار المحدود، والتعايش النسبي تبعاً للظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية التي يوجدون فيها.

والموقف المبدئي للطوائف التقليدية، مثل الكاثوليكية والأرثوذكسية، أنها ترى في الأصولية تحدياً؛ لأنها تعتبرها تقود إلى انقسامات أو حالات انفصال عن الكنيسة الموحدة. ولكن في مواقف وسياقات معينة؛ تزداد الحاجة إلى تعاون مشترك بين الطوائف المسيحية عندما تبرز تحديات عامة، وعلى وجهٍ أخص: حينما تكون هناك مصالح مشتركة أو حملات تبشيرية أو مواجهة لتيارات خارجية تهدد المعتقدات المسيحية. فعلى الرغم من الاختلافات العقائدية والطقوس؛ تظهر الدعوات إلى وحدة على أساس الإيمان بالكتاب المقدس كمصدر وحيد للسلطة الدينية.

وفي هذا السياق؛ ظهرت المسكونية العالمية Ecumenism، التي تُعتبر أبرز الأمثلة على هذا التعايش والتعاون، بين الأصوليين المسيحيين وبقية الطوائف الأخرى، المبني على المصلحة، ومثلت

(١) See again (Meyer, 2010). See also: Obadare, E. (2022). Muslim–Christian relations and the public sphere in West Africa. In Africa, 92(3), 389–408.

(٢) Freston, P. (2001). Evangelicals and politics in Asia, Africa and Latin America. Cambridge University Press.

قاعدة متينة للإرساليات التنصيرية الغربية، في إفريقيا وغيرها، لفض الاشتباكات التي كانت تقع بينها بسبب الصراع على مناطق النفوذ، كما مهدت لإنشاء ما يُسمّى بمجلس الكنائس العالمي WCC سنة ١٩٤٨م[١].

وهذه التباينات تعكس التنوع الكبير داخل المسيحية، والتي تشمل كاثوليكاً، أرثوذكساً، بروتستانتاً وأقليات عديدة. ويؤدي هذا التلاقي العابر للقارات إلى تشكيل خطاب عام أكثر عالمية، لكنه في الوقت نفسه يعمّق بعض التوترات الدينية والسياسية في البيئات الإفريقية، حيث يُستخدم الخطاب الأصولي المسيحي أحياناً كأداة سياسية في الجدل حول الهوية، والتعليم، والسياسات الجنسانية.

الخاتمة:

تكشف الظاهرة الأصولية المسيحية في إفريقيا عن تحوّل ديني عميق يتجاوز الطقوس إلى إعادة تشكيل للهوية الاجتماعية والسياسية. فهي من جهة؛ تعزز الانضباط الأخلاقي وتدعم النشاط الاجتماعي، ومن جهة أخرى؛ تُمثل مصدراً محتملاً للتوترات الدينية. ويبدو مستقبلها مرتبطاً بقدرتها على الموازنة بين الأصالة الإنجيلية والانفتاح على التحولات الاجتماعية.

تكشف الدراسة أن الأصولية المسيحية في إفريقيا ظاهرة متعددة الأوجه؛ فهي دينية وعقائدية من حيث التمسك بحرفية النصوص والميل إلى التفسير الخلاصي، وهي اجتماعية من حيث اعتمادها على شبكات محلية واسعة، وهي سياسية عندما تدخل في صراع مباشر أو غير مباشر مع الدولة أو الجماعات الدينية الأخرى. وتبرز الظاهرة بوصفها استجابة لأزمات عميقة تتعلق بالهوية، والتنمية، وبنية الدولة الحديثة التي عجزت عن استيعاب احتياجات المجتمعات الإفريقية.

وتُبيِّن النتائج: أن الجماعات الأصولية العنيفة، مثل جيش الرب للمقاومة، أدّت إلى تفاقم هشاشة الدولة وخلق بيئات من العنف المستدام. بينما أثّرت الجماعات الأصولية السلمية بطريقةٍ وضدها، فهي من جهةٍ؛ ساهمت في تعزيز شبكات التكافل والخدمات الاجتماعية، ومن ثَمَّ أفرزت آثاراً سلبية ساهمت بشكلٍ أو آخر في تكريس الانقسام الطائفي في المجتمعات الإفريقية! وقدّمت خطاباً تعبوياً تبريرياً لإقناع المجتمع بصحة خطط حلفائها السياسيين. كما أثّرت بعض العقائد الأصولية- مثل عقيدة «الشفاء»- بشكلٍ سلبي على برامج التوعية الصحية، وأدت عقائد أخرى- مثل «الامتلاء بالروح القدس» و«النبوءة» و«التكلُّم بالألسنة»- إلى شيوع ممارسة «الدجل الديني»؛ حتى أفرزت طبقة من مدعي النبوة وسط الزعماء الدينيين الشعبيين المتطلعين للرياسة.

وتوضح الدراسة: أن الأصولية المسيحية في إفريقيا ليست كتلة واحدة موحدة، بل طيفٌ واسع تتباين مكوناته بين حركات تجديدية إصلاحية وأخرى ذات نزعات مهدوية ثورية.

ومن هنا؛ تظهر الحاجة إلى تطوير مقاربات بحثية تتجاوز الرؤية الأمنية الضيقة، وتدمج بين التحليل الديني والاجتماعي والسياسي لفهم الظاهرة في سياقها المحلي والجهوي، مع الاهتمام بالعوامل البنيوية التي تُعيد إنتاجها، مثل ضعف الدولة، والفقر، والتهميش، وتعدد الهويات الدينية ■

(١) موقع مجلس الكنائس العالمي:
https://www-oikoumene-org.translate.goog/regions/africa